مَن هو الشهيّد الأوّل، وما هو سبب استشهاده ؟

م َن هو الشهيّد الأوّل، وما هو سبب استشهادة ؟

الشهيد الأو لهو الشين الشهيد والرن العميد، شمس الملة والدنين أبو عبد ا محمد بن مكي بن مكي بن محمد بن أحمد النتبطي العاملي الجزيني، و ُلد في جزين من بلاد جبل لبنان بعد سنة 720 هـ محمد بن أحمد النتبطي العاملي الجزيني، و ُلد في جزين من بلاد جبل لبنان بعد سنة 780 هـ جاءت له الزنامة والمرجعية طوعا ً وهي صاغرة بين يديه على الإطلاق بين عامي 771 هـ وبين 786 هـ بعد استاذه فخر المحققين، وحقا ً كما قيل: بأنه زعيم الزنامة والمرجعية وليست هي من زينته، وقد بلغت مكانته العلمية بين الفقهاء غايتها حتاً ما القول في عصره: لم يكن بين فقهاء السلف مجتهد سواه .

ويقال: إنّ الشيّخ الأنصاري سُئل: لماذا لم تمنح احدا ً درجة الاجتهاد؟ قال: لم يحصل لدي القطع باجتهاد أحدد من العلماء إّلا باجتهاد الشهيّد الأوّل.

وقال بعض العلماء في تفسير الشيّخ الأنصاري: لعله كان يرى المجتهد الجامع هو الـّذي يجمع الاجتهاد في البحوث الفقهيّة الاجتهاديّة اجتهادا ً في مقدماتيها ، أي في الصّرف والنّحو والمنطق والكلام والتّفسير والا ُصول، إذ لم يجد احدا ً بهذه المواصفات فإنّه لم يمنح أحدا ً درجة الاجتهاد. لقد أحرز الشهيّدُ الأوّل الاجتهاد في البحوث الفقهيّة وفي مقدمات ِها الصّرف والنّحو والمنطق والا ُصول… على المذاهب الخمسة ولم يتحصل هذا الأمر لأحد غيره من علماء المسلمين .

لذا خافه سلاطين عصره وقُتلَ بالسيف مظلوما ً شهيدا، ً ثم ّ صُلب، ثم ّ رُجم، ثم ّ اُحرق جسدُه بالنار في التّاسع من جمادى الأولى سنة 786 ، برحبة القلعة في سوق الجمال بدمشق بعد أن سُجن عاما ً ، ويُلقب بالشهيد على الإطلاق والشهيّد الأوّل.

أسباب استشهاده:

ومن أسباب استشهاده اهتمامه (رحمه ا□ تعالى) بترويج مذهب الشيعة الاماميّة، وسعيه لأقامة مركز ثقل وقوة للشيعة في الشّام، فقد كان كثير التّردد إلى دمشق لتعليم وارشاد الشيعة المقيمين فيها وارتباطه بعليّ بن مؤيد السّلطان الشيّعي العلوي ، وقد ألّف كتاب اللمعة الدمشقيّة له بقصد تفقهه في المذهب الإمامي ، وتنظيم دولته على أساس المذهب الشيعي ، □ دّره من عالم مخلد.

أطل " شهيدنا (قد "س سره) على الحياة الث قافي "ق من أوسع منافذها حت "ى جالس منذ نعومة اظفاره __ وبدافع من والده العالم الفاضل الشي "خ مكي جمال الد "ين __ علماء جبل عامل وجنوب لبنان، وخالط علماءها، و فقهاءها وارتاد ندواتها العلمي "ق، وشارك في حلقات الد "رس ال "تي كانت ت عقد في المساجد والمدارس والبيوت، وكثيرا ما كان ي ساهم في المناقشات الت "ي كانت تدور بين الأساتذة والط "لاب أو ألط "لاب أنفسهم ، فمنذ البدء تعود أن يبني لنفسه آراء مختص "ق به في مختلف مسائل الفقه والأدب وغيرهما، حت "ى أصبح مع صغره من ي شار له بالفضل والعلم وي توقع له مستقبل زاهر شومشرق .

شَدَ السَّرِّحال وهو في أوائل ربيعه السَّابع عشر أيَّ في حدود سنة 761 إلى حيث يمكنه تلقي العلوم والمعارف ، فارتاد الحلَّة وكربلاء المشرفة وبغداد ومكَّة المكرمة والمدينة المنورة والشَّام والقدس، وتركَّز استقرار ُه في الحلَّة السَّتي كانت آنذاك عامرة ً بأساطين الفقه وعلماء المعرفة، حتَّى أضحت قطبا ً حيويَّا ً، ومدرسة رائدة ً من مدارس الفقه الشيعي، وفي ظلَّ هذا الازدهار وتلك الحيويَّة روَّى الشهيَّد ُ ضمأه من أصفى منابع العلم وانقاها.

فتتلمذ على ولد العلامة فخر المحققين السّذي كان م ِن أجل مشايخه وأعظم اساتذته واكثرهم دراسة عليه، فأولاه من العناية مالم يولها لغيره لما رأى فيه من النسّبوغ المبكر والمواصفات الفريدة حتسّ قال فيه: ((استفدت منه أكثر مما استفاد مني)). وقرأ على الفقيهين الكبيرين الأخوين عميد الدسّين، وضياء الدسّين ابني شقيقة العلاسّمة (قدس ا أرواحهم الزسّكيسة) وتتلمذ أيضا على تاج الدسّين المعروف (بابن معيسّة) السّذي كان من كبار علماء الحلسّة حينذاك، وفي دمشق قرأ على ق ُطب الدسّين محمسّد بن محمسّد بن

أساتذته من العامّة:

أمًّا اساتذته ومشايخه من العامَّة فهم كثيرون، منهم:

١_ القاضي برهان الدّين إبراهيم بن جماعة.

٢_ ومحمّد بن يوسف الشّافعي.

٣_ وأبو العباس أحمد الحنفي النّحوي. ٤_ والحافظ شمس الدّين محمّد بن عبد ا□ البغدادي الحنبلي وغيرهم كثير.

قال(قدس سره) في إجازته لابن الخازن: (وأمّا مصنفات العامّة ومروياتهم فإني أروي عن نحو من أربعين شيخا ً من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام إبراهيم الخليل (عليه السلام). وهذا لدليل جلي من دلائل عدة، وشاهد بارز من شواهد كثيرة على سمّو فكر علماء الشيعة ونقاء سريرتهم وعدم إبائهم من تلقّي شتّى العلوم والمعارف عن طريق علماء سائر المذاهب، مجردين أذهانهم بذلك عن كل حقد و تعصب، بل لم يمنعهم علو ً مرتبتهم وجلالة مقامهم للعتراف أكابر هذه المذاهب وفضلائها لـ من القيام بذلك.

تلامذته:

وأمَّا تلامذته فهم كثرنخصَّ بالذكر منهم:

۱_ الفاضل المقداد السّيوري، الـّذي حلّ محلّ الشهيّد الثّاني لزعامة الشيّعة الإماميّة أعلى ا∐ُ كلمتهم، وزادهم علوّااً وشرفاً.

۲_ وابن نجدة.

٣_ والكركي.

٤_ وابن الخازن الحائري السَّذي له منه اجازة.

0_ وعزِّ الدِّين الحلِّي، بنته العالمة أم حسن فاطمة الملقبة بـ(ست المشائخ) وغيرهم.

ولو تأملنا في مدة عمره الشّريف ـ القصيرة نسبيا ً ـ ورحلاته إلى تلك البلاد وما خلفه من تصانيف رائعة في شتّى العلوم والفنون وأنظاره الدّقيقة ومقترحاته العميقة، يُعلم أنّه من الّذين اختارهم ا□ ُ تعالى لتكميل عباده وعمارة بلاده، وكلّ ما قَيِل أو ي ُقال في حقّه فهو دون مقامه ومرتبته (1).

.....

1) يُنظر ترجمته في: رياض العلماء: 185روضات الجنات:3/7، أعيان الشيعة: 36/6، تنقيح المقال: 191/3، الكنى والالقاب: 377/2، شذرات الذهب: 94/6، أمل الآمل: 181/1، ومقدمة التَّحقيق لكتابه (ذكرى الشيَّعة) لإحياء التَّراث .